نفس البنيـة الاجتمـاعية للبورجوازية الصغيرة ان تقوم بدور الطليعة الثورية وان تحرق المراحل وتنقل المجتمع في الطريق اللارأسمالي من المرحلة السابقة للبورجوازية الى المرحلة الاشتراكية، وذلك لا يتم الا بتأثير وبمساعدة القوى الاشتراكية الدولية. بهذه الآلية نشأت الانظمة السائرة في طريق لارأسمالي والانظمة التقدمية في العالم النامي. لكن، يجب القول هنا بين قوسين ان الانظمة التقدمية، رغم ميزاتها الايجابية، يمكن ان تنشأ لديها سلبيات كثيرة قد تتحول الى سلبيات قاتلة بتأثير رواسب العقلية البورجوازية الصغيرة. واقع الحال هذا يؤلف، حالياً، على المستوى العالمي، عقبة كبيرة امام تسريع مسيرة التقدم، ويقدم الى البورجوازية العالمية فرصاً كبيرة كي تهاجم التقدم والانظمة التقدمية، بمختلف حالاتها.

١٢

في الستينـات، بدأت تنشـأ فصائل منظمة التحرير الفلسطينية ممثلة لحركة التحرر الفلسطينية؛ وكان ذلك في اطارين رئيسين: الاطار القومي ـ الديني، والاطار القومي ـ التقدمي.

في الحالين، كانت «الارض الصديقة» هي البلدان العربية، سواء التقدمية منها، أو الرجعية.

في نفس الوقت، وضعت منـظمـة التحرير لنفسها خطأً هو عدم التدخل في «الشؤون الداخلية» للبلدان العربية وتصدت منظمة التحرير ضمن المعادلة الدولية ـ العربية القائمة للمعركة السياسية ـ العسكرية مع الصهيونية.

١٣

لا شك في ان حركة التحرر العربية بشكل عام، وحركة التحرر الفلسطينية من جملتها، تتصفـان بالكثير من العفوية، وينقصهما، عموماً، التخطيط الجاد الذي يتفق مع مستوى تعقيـد الظروف العـربية الدولية. وهذه العفوية ناجمة عن كون التحليلات السياسية هي تجريبية (اي غير مستندة الى أسس علمية) وقائمة على مرتكزات ايديولوجية متناقضة، او متعددة.

طبعـاً، العفـويـة هي عيب كبير ولها منعكسات سلبية عديدة على مسار الحركة وعلى مستقبلها؛ ولكنها، على الصعيد السياسي، هي شر لا بد منه. فالقوى السياسية التحررية تنشأ في المجتمع كنقيض عفوي للقوى الامبريالية، فتتصف بالتعددية الطبقية، من جهة، وبـالتباينات الايديولوجية، من جهة اخرى. لذلك، يصعب، غالباً، النشوء الفوري لتنظيم ثوري قوي يستطيع التخطيط على المدى القريب، والبعيد.

لكن الآثار السلبية للعفوية على حركة التحرر تتناقص بمقدار ما تتجه الحركة الى تمتين البناء العقلاني لمنظماتها وبمقدار ما تُنضج المعركة المخوضة كادرات حركة التحرر. الواقع، ان مستقبل حركة التحرر كله هو، في اي مكان، متوقف على مدى انضاج التجربة الكفاحية لها في اتجاه العقلانية. وبمقدار ما تتشبث حركة التحرر بالعفوية تقضي على نفسها بالانهيار.

وحتى تتخلص حركة التحرر الفلسطينية من العفوية، من الضروري ان تبت في الاطار الايديولوجي، ومن خلال ذلك في الاطار الزماني ـ المكاني لعملها. ليس المقصود، طبعاً، ان